

## الشاعر عبد الصمد بن بابك

بيني وبين ثلاثة باحثين إيرانيين

أ.د. ضياء خضير (\*)



المقدمة:

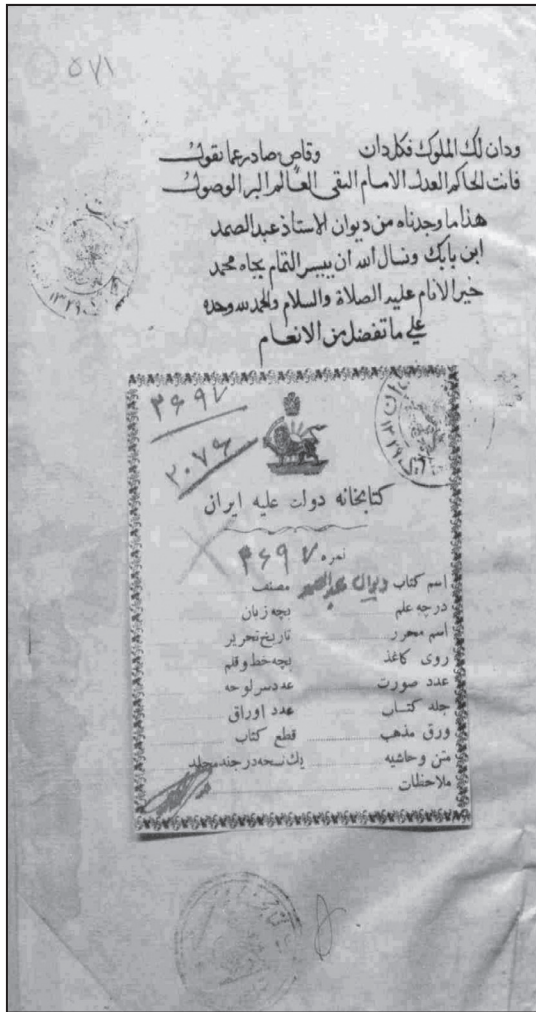
عبد الصمد بن منصور بن الحسن المعروف ب (ابن بابك) شاعر عراقي، ولد ببغداد في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري، وتوفي فيها بداية القرن الخامس. وقد عاش شطرا كبيرا من حياته في إيران ووجدت مخطوطة ديوانه الكبير الذي يحوي أكثر من خمسة عشر ألف بيت في المكتبة الوطنية بطهران. وكنت قد حصلت في وقت مبكر من السبعينات على نسخة من هذه المخطوطة من هذه المكتبة، وجعلت منها موضوعا لدراستي في الماجستير بكلية الآداب بجامعة بغداد، ونشرت عنه بحثا طويلا في مجلة المورد العراقية عام ١٩٧٨.

ومن المصادفات الغريبة أن أعثر هذه الأيام على دراسة تحت عنوان (ابن بابك الشاعر، واتصاله بالحركة الأدبية في عصره) وضعها ثلاثة باحثين إيرانيين، في (العدد الأول - السنة السادسة من مجلة الأدب العربي، الصادرة عن قسم اللغة العربية بجامعة طهران صيف عام ١٩٩٢) تحوي على مجموعة من المغالطات الخاصة بحياة هذا الشاعر واسمه ونسبه على نحو يستدعي التنبيه إلى هذا النوع من الأخطاء المتعمدة أو غير المتعمدة في دراسة الأدب العربي في علاقته بالأدب والتاريخ الإيراني.

الكلمات المفتاحية: عبد الصمد بن بابك، أ.د. ضياء خضير، مجلة الأدب العربي جامعة طهران.

(\*) جامعة بغداد .

محاولته نسبة الشاعر إلى إيران، وليس إلى وطنه العراق ومدينته بغداد على الرغم من وضوح هذه النسبة، وغير ذلك مما سنوضحه في ما سيأتي من ملاحظاتنا، وهو، كما سوف نرى، أمر لا يليق بباحثين أكاديميين تجردوا للبحث الأكاديمي والعلمي وقول الحقيقة في دراسة شاعر قديم مرّ على وفاته أكثر من ألف عام من هذا التاريخ.



(صورة من الصفحة الأخيرة لمخطوطة الديوان الموجود في المكتبة الوطنية بطهران)

الباحثون الثلاثة هم الأستاذ محمد علي آذرشب، والأستاذ المشارك محمد حسن فؤاديان، والأستاذ المساعد علي أكبر فراتسي.

الدراسة قديمة، كما نرى، ومن كتبها ثلاثة باحثين جامعيين، وليس واحدا. وهي تعتمد بشكل أساسي على مخطوطة ديوان الشاعر الموجودة في المكتبة الوطنية بطهران تحت الرقم (٤٩٤)، النسخة التي بحوزتي، والتي يظن الدكتور حسين علي محفوظ أنها النسخة نفسها التي كانت في مكتبة آل العطار ببغداد اعتماداً على ما ذكره أغا بزرك الطهراني في كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة<sup>(١)</sup>، الذي يقول أيضاً إنه رآها في مكتبة آل العطار، ووصفها بأنها «عتيقة»، وكذلك ما ذكره محمد رضا الشيببي في مجلة العرفان من أنه رأى هذه المخطوط في مجلدين في مكتبة آل العطار<sup>(٢)</sup>.

وما دعانا إلى كتابة هذه الملاحظات هو أن دراسة هؤلاء الباحثين الإيرانيين الثلاثة تفتقد، كما هو واضح، شيئاً من الأمانة في البحث، وفيها شيء من سوء التقدير والتفسير والتوجيه لبعض أبيات الشاعر الخاصة بنسبه، وعدم إحاطتهم بجوانب مما ورد في المخطوطة من شعر غزير. وعلى الرغم من جعلهم بحثي المنشور في مجلة المورد مرجعاً رئيساً من مراجعهم ومناقشتهم بعض ما ورد فيه، فإن بحثهم لا يخلو من ميل قومي في

(١) أغانبزرک الطهراني، الذريعة في تصانيف الشيعة، طبعة طهران ١٩٤٨، ١٨/٩.

(٢) محمد رضا الشيببي، مجلة العرفان، الجزء ٣٢ ص ١٥.

## ابن بابك الشاعر، واتصاله بالحركة الأدبية في عصره

محمد علي آذرشب

أستاذ بجامعة طهران

محمد حسن فؤاديان

أستاذ مشارك بجامعة طهران

علي أكبر فراتي\*

أستاذ مساعد بجامعة طهران

(١٢٧-١٥٢)

تاريخ الاسلام: ٣٠/١٠/٩١٠، تاريخ القول: ٩٢/١٢/١٤

### الملخص

إن ابن بابك شاعر لم يعرف كما يليق به، فلا نجد في الحديث عنه وعمّا له من المواقف الأدبية إلا عبارات تقليدية مكررة. وقد تطرقنا في هذه العجالة، بعد وقفة قصيرة عند حياته وشعره وعقيدته ونسبه، إلى مسألة علاقة الشاعر بالأدباء والشعراء المعاصرين له، واتصاله بالحركة الأدبية، ودوره في حيويتها عبر ما نقل عنه في المصادر، وما لدينا من ديوانه باحثين عن مظاهر من هذا الاتصال، فرأينا نشاطاته الأدبية والشعرية المتصلة بالتيار الأدبي في عصره أو المرتبطة بمعاصريه من الأدباء تتمثل في أمور، منها: رواية الشعر، وأخبار الشعراء، وإخراج الأبيات المعمّاة عليه، وما عمّي هو على غيره، مثل: ابن المنجم، والمكاتبات والمساحلات الأدبية والشعرية، مثل: ما جرى بينه وبين ابن فارس، ومدح نظرائه أو هجومهم مما يظهر لنا بعض دوره وأثره في المجتمع الأدبي آنذاك.

(صورة من الصفحة الأولى لدراسة الباحثين الإيرانيين الثلاثة في العدد الأول من السنة السادسة لمجلة الأدب العربي

بجامعة طهران لعام ١٩٩٢)

وسأحاول هنا أن أوضح ذلك بإيراد آراء الباحثين الإيرانيين حول الشاعر ومناقشتهم لبعض ما ورد في بحثي المشار إليه بمجلة المورد، وردّي عليها، ثم بيان أهمية الشاعر وتفردّه بين شعراء العربية في زمنه. علماً بأن اهتمامنا المبكر بهذا الشاعر راجع إلى أهميته الاستثنائية في الشعر العربي، وليس فقط إلى نسبته إلى العراق أو إيران. وهو شاعر، مثل آخرين عديدين في تاريخنا الشعري، لم يجر الانتباه إليه بطريقة كافية لا من القدماء ولا المعاصرين.

١- فأما الأول: فتتمثل في أن البحث في حياة هذا الشاعر العباسي وشعره ليس جديداً، وأن الفقير إلى الله ضياء خضير كان قد سبق الباحثين الإيرانيين الثلاثة في الكتابة عن هذا الشاعر وشعره بأكثر من خمسة عشر عاماً من كتابتهم لبحثهم المذكور. فقد كانت رسالتي لدراسة الماجستير التي أعدتها تحت إشراف الدكتور علي الزبيدي، وأجيزت بعد أن تمّت مناقشتها عام ١٩٧٦ من قبل الدكتور جميل سعيد وحמיד الهيتي وسامي مكّي العاني وهادي الحمداني رحمهم الله جميعاً، تحت عنوان (عبد الصمد بن بابك - حياته وشعره) وتناولت في أحد مباحثها علاقة ابن بابك هذا بأدباء عصره وثقافته

واتصاله بالحركة الأدبية في عصره معتمدا على مخطوطة ديوان الشاعر نفسها الموجودة بالمكتبة الوطنية بطهران بعد نقلها من مكتبة آل العطار ببغداد، التي حصلت على نسخة منها عام ١٩٧٤؛ وهي، كما قلت، المخطوطة نفسها التي اعتمد عليها الباحثون الإيرانيون الثلاثة في كتابة بحثهم، وكان الدافع إليه في ظننا اعتقادهم الخاطيء بأن ابن بابك، كما يبدو من اسمه أو كنيته الأعجمية، شاعر إيراني، وليس عربياً عراقياً.

وإذا لم يكن لهؤلاء الباحثين من سبيل للاطلاع على هذه الرسالة الموجودة في جامعة بغداد، فإنهم قد اطلعوا، كما يشيرون، على بحثي المنشور بمجلة المورد العراقية (عدد ٣، تموز ١٩٧٩) تحت عنوان (صورة الخمر لدى شاعر عباسي - عبد الصمد بن منصور بن الحسن المعروف بابن بابك)<sup>(٣)</sup> فقد ذكروه واقتبسوا منه في أكثر من موضع من بحثهم، وناقشوا بطريقتهم الخاصة بعض ما ورد فيه خلال بحثهم المشترك هذا. وأما الثاني: فيتصل بما أشرت إليه في هامش هذا البحث المنشور في عدد مجلة المورد المذكور إلى مكان ولادة الشاعر في بغداد وموته فيها عام ٤١٠ للهجرة، وكونه عراقياً ينتمي إلى قبيلة سليم العربية. معتمداً في ذلك على شعره وجملة ما ذكره القدماء في هذا الجانب؛ ولكن الباحثين الإيرانيين الثلاثة، الذين أشاروا إلى ما ذكرته عن جنسية الشاعر بإيجاز، قد ذهبوا متعمدين مذهباً آخر في تقريرهم بأن عبد الصمد بن بابك ربما يكون «شاعراً إيراني الجنسية» دون التفات إلى ما أثبتته في هذا الشأن اعتماداً على كل الذين أرخوا للشاعر من القدماء ممن عاصروه أو جاءوا بعده، وذكروا شيئاً عن حياته، بمن فيهم أبو منصور الثعالبي

(٣) مجلة المورد، العدد الثالث / تموز، بغداد، ١٩٧٩.

في (يتيمة الدهر) التي أورد فيها الكلام على ابن بابك في الفصل الذي عقده للشعراء (الطارئين) على حضرة الصاحب بن عباد في جرجان<sup>(٤)</sup> فضلاً عما أثبتته من وثائق ومصادر أخرى بينها ما ذكره الشاعر نفسه في ديوانه الكبير من أبيات يفتخرُ فيها بنسبه العربي وكونه عراقياً من أهل بغداد، اضطرَّ إلى مغادرة وطنه والتغرب عنه في إيران وغير إيران في حقبة مبكرة من حياته (ومنها الأنبار غرب بغداد، والموصل زمن العُقيليّين، والحلة زمن بني مزيد) بعد أن انتزع داره بعض القادة البويهيين في بغداد إثر احتلالهم لها سنة ٣٣٤ للهجرة.

ولعل اسم الشاعر وإقامته الطويلة في إيران وتردده على الصاحب بن عباد وغيره في الرّي وجرجان وغيرهما هو الذي دفع بالباحثين الإيرانيين الثلاثة إلى أن يعدّوه (إيرانياً فارسياً)، مع معرفتهم الأكيدة بكونه (عربياً عراقياً) من أهل بغداد، ولادةً ونشأةً وانتماءً.

وليس هناك من سبب لذلك، كما قلت، سوى الدافع القومي، الذي يتناقض مع أبسط أصول البحث الأكاديمي الذي كان يُفترض بالباحثين الثلاثة الالتزام به في بحثهم المنشور في مجلة علمية أكاديمية محكمة.

يقول الباحثون الإيرانيون الثلاثة في الصفحة (١٣٠) من بحثهم المشار إليه:

«إن الباحث الدكتور ضياء خضير اعتبره [ابن بابك] من الشعراء العرب قائلًا: وهو عربي من قبيلة سليم العدنانية، وهو عراقي من أهل بغداد». وهم يضيفون إلى ذلك أن الباحث الإيراني (دهخدا) قال إن عبد الصمد بن بابك كان إيرانيًا «في الأصل» وأن اسم جده (بابك) هو اسم فارسي،

(٤) الثعالبي، أو منصور عبد الملك، يتيمة الدهر، تح: محي

الدين عبد الحميد، القاهرة، ط ٢، ١٩٥٦، ٣ / ٣٣٩.

وأنه «من بيت إيراني فارسي الأصل، وان كانت ولادته ووفاته في بغداد».

وهناك، كما يقولون: «قول آخر: أنه لا يمكن القطع بفارسيته أو عربيته، كما صرح به الدكتور آذرنوش (آذرنوش ١٣٨٧ ش: ١٧٠)»<sup>(٥)</sup>

ويستدركون على ذلك بالقول:

«ولولا أن هذا الموضوع قد وقع موقع اهتمام المحققين واختلافهم لما تطرقنا إليه، ولعامناه معاملة شعراء العربية، من العرب كان أم الفرس، فكان من الشعراء والكتاب من لهم أصول غير عربية، ولكنهم صنفوا أو قرضوا الشعر بالعربية، مثل بشار بن برد وأبي نؤاس، ومن معاصريه صاحب بن عبّاد، ومهيار الديلمي، والثعالبي، وغيرهم كثيرون»<sup>(٦)</sup>، ويضيفون إلى ذلك أيضا ما ياتي: «وأما بالنسبة لظن الدكتور ضياء أن ابن بابك عربي من قبيلة سليم العدنانية، فيمكن الكلام عليهما في جزأين.

**أولهما:** أن يكون الشاعر من عدنان، والثاني من قبيلة سليم، لربما ترجع دعواه الأولى إلى بعض أشعار ابن بابك كمدحه السلطان محمود الغزنوي:

**فالشاعر المغرب في أرضهم**

**أعزّ من عنقائها المغرب**

**فخلّهم والفخر يغنو بهم**

**فهو سلاح السدم المغضب**

(٥) مجلة الأدب العربي، العدد الأول، السنة السادسة، جامعة طهران، ١٩٩٢، ص ١٢٨ - ١٣١.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٣١.

**فلمست ذا فقر إلى نسبة**

**فيهم سوى أن نزارا أبي**

**أنا ابنُ عدنانهم سابقا**

**إذا انتمى التالي إلى يعرب<sup>(٧)</sup>**

واضعين هذا التعليق الغريب على هذه الأبيات

التي اختاروها من مخطوطة الديوان:

«هناك ملاحظتان في هذه الأبيات، أولاهما أن الشاعر ليس بصدد التمدح والتفخر، بل يعرب عن شعوره بالحقارة والمهانة، ويستحقر العرب ويستتهين بهم، أمّا تملقًا عند الملك، وإما لاعتقاده بأنّه لا فخر له في نسيه العالي. وأمّا الثانية فإنها بنسبه راجعة إلى نزار بن معد بن عدنان، كما صرح به. ويفاخر بهذا النسب إلى يعرب بن قحطان، بيد أنه يتلو تعبيره عن نسبه قوله: «سابقا»، وربما فيه إشارة طريفة إلى أنه كان ذا عرق عربي أصيل، قد تغير منذ الزمن، إذ كان بعض آبائه من الفرس وهو بابك. على الأرجح عندنا أنه يتملق الملك الإيراني عبر تشدقه باستحضار حسبه العربي.

**والآخر:** في نسب ابن بابك العربي في قول الدكتور ضياء أن يكون من قبيلة سليم: وأظنه لو أراد أن يستدلّ بشيء يقوي رأيه لاستشهد ببعض ما جاء في ديوان الشاعر من لفظ «سليم»، وقد قلبنا الديوان ظهرًا لبطن فلم نعثر على موضع ذكر فيه هذا اللفظ دالًا على كون الشاعر مُدعيًا أنّه من بني سُليم، فعلى سبيل المثال قال ابنُ بابك في بيت له:

(٧) المصدر نفسه، ص ١٣١.

## أبلغ سليماً أن موقد نارها

رُجِّتْ عَلَيْهِ مِصَارِعُ الْأَبْوَابِ»<sup>(٨)</sup>.

ويستمر الباحثون الإيرانيون الثلاثة، هكذا، في إيراد الأشعار والقرائن التي تشكك في نسب الشاعر وفي كونه عربياً عراقياً بغدادياً صليبيةً، لا ادعاءً أو ولاءً، سابقاً أو متأخراً.

ومن أجل توضيح الأوهام والمغالطات التي وقع فيها هؤلاء الباحثون الإيرانيون فيما يتعلق باسم الشاعر ونسبه وقراءة دلالات بعض أشعاره قراءة خاطئة، نود أن نشير إلى ما يأتي:

١- إن اسم الشاعر واسم أبيه وجده الموجود في ديوانه، وفي كل المصادر التي كتبت عنه هو (عبد الصمد بن منصور بن الحسن). وهي أسماء عربية صريحة، لا وجود للعجمة فيها، فضلاً عن لغة الشاعر العربية التي تكلم بها وكتب شعره ونثره، كما تكلم وكتب بها كثير من الإيرانيين في عهده، ولم يؤثر عنه أنه كتب شيئاً من شعره بالفارسية، كما فعل شعراء آخرون في عهده وبعد عهده.

٢- أما كنية (ابن بابك) الأعجمية التي أوهمت الباحثين الإيرانيين باحتمال فارسيته، فقد كُنّا نقلنا في دراستنا للشاعر ما جاء في (طراز المجالس) للخفاجي تفسيره لذلك بالقول إن الاسم «بابك اسم معروف استعملوه ممنوعاً من الصرف

(٨) المصدر نفسه، ١٢٨-١٣١.

للعلمية والعجمة، كما وقع في شعر أبي الطيب في مواضع، ولم يتردد فيه شرّاحه مع جلالتهم، وكذا استعمله هذا الشاعر، وهو أدري باسمه (هذا ابن بابك واقف بالباب). فما قيل من أنه مبني على السكون لوهم من قائله، ولكن هناك نكتة ينبغي التنبيه لها، وهي أن العرب كما تعرب الأعجمي فإن العجم تعجم العربي، كما قال ابن الكمال في كتاب التعريب، فأعجم بإلحاق حرف كبابك وفورك، بعكس حكم العجمة ولا ينظر لأصله، فتفتن له، فقلما تجده في غير كتابنا هذا»<sup>(٩)</sup>.

وعلى الرغم من أننا لا نعرف على وجه الدقة المصدر الذي جاء عنه الاسم (بابك)، وهل هو أصيل في العربية أم لا، فإننا نميل إلى ترجيح الوجه الأخير الذي ذكره ابن الخفاجي نقلاً عن ابن الكمال، وهو أنه جاء بإلحاق حرف الكاف إلى كلمة باب، وأن الأصل ربما كان (باب الكريم) فاختصر إلى بابك. وهو ليس من قبيل النحت المعروف في العربية، وإنما من قبيل الإعجام الذي تتحول معه الكلمة إلى كلمة أخرى يكاد ينسى معها الأصل. ولدينا ما يقوي ذلك في أسماء مثل (ابن عبدك) المعروف بالعبدكي<sup>(١٠)</sup>، مع أنه يجب القول إن اسم (باب الكريم) قليل في العربية. مع أن احتمال كون كلمة (بابك) فارسية تبقى قائمة، رغم أنها ليست نسبة إلى «جده الأعلى»<sup>(١١)</sup>، كما

(٩) الخفاجي، أحمد بن محمد شهاب الدين، طراز

المجالس، المطبعة الوهبية، ص ١٧٩

(١٠) الزركلي، الأعلام، ١٧٩/٧.

وانتشر الأمر والفساد كما  
أسلم نظم القلادة السلكُ  
وفكَّ حجر اليتيم فانتبهوا  
فالمالُ كالماءِ أخذهُ تركُ  
واتصل الأمرُ في تهتكه  
وكاد عقدُ النظام ينفكُ<sup>(١٢)</sup>

٣-أما ما يقوله هؤلاء الباحثون من أن نسبه  
«راجع إلى نزار بن معد بن عدنان، كما صرح به.  
ويفاخر بهذا النسب إلى «يعرب بن قحطان»، بيد  
أنه يتلو تعبيره عن نسبه قوله «سابقاً»، وربما  
فيه إشارة طريفة إلى أنه كان ذا عرق عربي  
أصيل، قد تغير منذ الزمن، إذ كان بعض آبائه من  
الفرس وهو بابك.»<sup>(١٣)</sup> ففيه خلط بين النسب إلى  
عدنان وقحطان، وعدم فهم لما كان الشاعر يعنيه  
بكلمة «سابقاً» في البيت الذي جرى الاستشهاد به  
من قبلهم.

فالقبايل العدنانية التي ينحدر منها الرسول  
محمد (ص)، التي منها سليم قبيلة الشاعر، هي  
غير القبائل القحطانية، ولم يرد في هذا المقطع ما  
يشير إلى فخره بالقحطانيين على الرغم من أن ذلك  
ممكن في عموم شعره، وإنما هو يفخر بأجداده  
العدنانيين، الذين كان متقدماً و «سابقاً» لغيره  
في نسبه إليهم من غيره من المنتمين التالين أو  
المتأخرين المتحدرين من يعرب بن عدنان وليس

(١٢) المصدر نفسه، ٣١.

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) مخطوطة ديوان ابن بابك، المكتبة الوطنية بتهران  
تحت الرقم ٤٩٤، الورقة ٧٨.

يقول الباحثون الإيرانيون، وإنما هي كنية أطلقها  
عليه، كما نقدر، مواطنو الشاعر البغداديون  
بسبب عيشه في بلاد فارس فترات طويلة من  
حياته، كما يحدث أحياناً في إضافة ألقاب المصري  
والتركي والعجمي لتطلق على مواطنين عراقيين  
وعرب عاشوا في تلك البلدان، مع أنهم ليسوا  
مصريين ولا أتراكاً أو عجمًا.

وقد يكون ما دفع هؤلاء البغداديين إلى إطلاق  
هذا الاسم الأعجمي عليه هو ما تخلف في ذاكرتهم  
عن بابك الخرمي الذي قاد التمرد على الخلافة  
العباسية في القرن الثالث الهجري واستمرت  
حركته فترة طويلة من الوقت قبل موته في  
(٢٢٣هـ) ولعل موقف ابن بابك المعادي أو غير  
المنسجم مع الخلافة والخلفاء العباسيين في عهده  
أن يكون سبباً في هذا الموقف الذي دفع ببعض  
الناس أن يطلقوا عليه تلك الكنية أو ذلك الاسم  
ليصير بعد ذلك لصيقاً به وعلماً عليه.

ولنستمع، مثلاً، إلى هذه الأبيات يقولها لبعض  
الخلفاء العباسيين ناصحاً ومحذراً وناعياً عليهم  
تفريطهم ببيضة ملكهم:

فاستدركوا رأيكم ورايتكم

فما لكم هيبَةً ولا مُلكُ

قد طمع الجندُ في دياركم

والسديلمُ المقطعون والتُّركُ

(١١) محمد علي آذرشب، محمد حسن فؤاديان، وعلي  
أكبر فراتسي، مجلة الأدب العربي، جامعة طهران، مصدر  
سابق، ص ١٢٨.

«يعرب بن قحطان»، كما جاء في البحث.

كما أن قول الشاعر «سابقاً» لا تعني ما قصده الباحثون الإيرانيون من أن انتماءه إلى عدنان كان أمراً ماضياً لم يعد له وجود عنده الآن، فالسابق لا يعني هنا المضي والانتها، بل التقدم والسبق في الزمن.

٤- أما أنني لا أستطيع أن آتي بشاهد من شعر ابن بابك يدل على نسبه إلى سليم، فذلك جهلٌ من الباحثين بما ورد في الديوان من إشارات كثيرة تؤكد هذا المعنى وتقويه على الرغم من زعمهم أنهم قلبوا الديوان «ظهرًا لبطن»! وما استشهدتُ به في دراستي الطويلة في مواضع عدة من أبيات، لا يدع أيّ مجال للشك في نسبه إلى هذه القبيلة العربية، كما في قوله:

**أنا من سُليمٍ من مطلقِ عَرِّها**

**فعلام أخضع للأسير الجائر؟<sup>(١٤)</sup>**

أو قوله يصف ناقته:

**هو جاء تحمل من سُليمٍ ماجدا**

**أثنى أزمتَه على المُقتادِ<sup>(١٥)</sup>**

أو قوله:

**أبلغُ سُليماً أن موقدَ نارها**

**رُجت عليه مصارعُ الأبوابِ<sup>(١٦)</sup>**

وبإمكاننا أن نأتي بأبيات أخرى بهذا المعنى موجودة في مخطوطة الديوان، مع أن ما تؤديه في مجموعها لا يزيد على تحصيل حاصل، وتثبيت

(١٥) المصدر نفسه، الورقة ١٢.

(١٦) المصدر نفسه، ٦٠.

حقيقة يضطر الشاعر إلى ذكرها في حال غربته وضيقه أو سجنه، أو رؤيته لمن يدعي نسباً عربياً ليس أهلاً له، كما حدث للشاعر مع القاضي التنوخي الذي كان ينادم عضد الدولة البويهى، حين قال فيه مرة هذه الأبيات لأنه «استخضم العرب» وحاول الحطّ من شأنهم:

**مهلاً أبا الضوء لا تستخضم العربا**

**فلو دُعيتَ لفخرٍ ما عرفتَ أبا**

**تقول إني تنوخي، ولا عجب**

**للأرض أن تنبت الريحان والغربا**

**وما أظنك منهم، فالتمس نسباً**

**وإن تكن منهم فليطلبوا نسباً<sup>(١٧)</sup>**

ومن الواضح أنه لا يمكن لإنسان مشكوك في نسبه وأصله العربي أن يزري هكذا على الآخرين ويسخر من ادعاءاتهم بالانتماء إلى العرب دون أن يكون عربياً صليبةً لا ادعاءً أو زعماً.

٥- أما أنه «استحقر العرب واستهان بهم» أمام ممدوحه الفارسي، كما يقول الباحثون في تعليقهم على تلك الأبيات، فلم يحصل ذلك إلا فيمن أضعوا الأصول العربية منهم، وفرطوا بالدفاع عن وطنهم والحفاظ على بيضة ملكهم. فضلاً عن أنه هجا في هذه القصيدة الأعراب البداة الذين وصفوا في القرآن الكريم بالكفر والنفاق، وليس العرب أهل الفتح وحملة الدين الجديد وصناع الحضارة.

والبيت الذي أعقب الأبيات التي استشهد بها

(١٧) المصدر نفسه، ص ٣٨-٣٩.

الباحثون الإيرانيون هو:

لا تَرَجُّ مَنْ يَغْمَسُ أَظْفُورَهُ

في دَرَنِ المَطْعَمِ والمَشْرَبِ<sup>(١٨)</sup>

وهو بيت تجاوزه الباحثون الإيرانيون، كما تجاوزوا مخاطبة ابن بابك لمدوحيه (كافي الكفاة) صاحب بن عبّاد في إحدى قصائده على هذا النحو الذي لا يخلو من جرأة وشجاعة تسببتا في غضب صاحب وإدارته لوجهه عنه:

الله يا كافي الكُفَاة فما

أغرى بي الوشاة لو عرفوا

أموتُ ضراً ولا أرى ملكاً

يرقص في جلد أنفه الصلف<sup>(١٩)</sup>

٦- وممدوح الشاعر محمود الغزنوي، الذي كانت عاصمته غزنة في أفغانستان الحالية، وليست الري أو خراسان، لم يكن سلطاناً فارسياً خالصاً. فهو الذي انتصر على السامانيين الفرس وقوّس دولتهم. وقد عرفنا حرصه على العرب والعربية على الرغم من أصوله التركية. والمؤرخون الإيرانيون يعرفون جيداً موقفه غير المشجع للفردوسي صاحب الشاهنامه، الذي خرج فيها الشاعر عما اعتاد عليه الشعراء والمؤلفون الإيرانيون آنئذٍ من كتابة أشعارهم ومؤلفاتهم بالعربية لغة الثقافة والأدب والإدارة في الدولة الإسلامية، وحاول إحياء اللغة الفارسية وأمجاد الفرس القدماء بأشكالها

(١٨) مجلة الأدب العربي بجامعة طهران، مصدر سابق، ص ٣٨-٣٩.

(١٩) مخطوطة الديوان، الورقة ٧٨.

وصورها التاريخية والأسطورية بكتابة قصيدته الطويلة أو ملحمة الشهيرة بها، حيث استقلّ مكافأة محمود الغزنوي له على تلك الملحمة الكبرى التي أهداها للسلطان، واعتبرها أشبه بالإهانة منها إلى التكريم، مما أغضبه وخيب ظنه، ودفعه إلى هجاء السلطان الغزنوي والهرب منه.

٧- أما محاولة هؤلاء الباحثين الجمع بين ابن بابك وشعراء عرب من أصول فارسية كأبي نواس ومهيار فلا وجه، ولا مبرر لها هنا. لأن ابن بابك عربي صريح في نسبه، دائم الفخر بنفسه أمام ممدوحيه من العرب والفرس، ولم يتحدث يوماً عن أجداده الفرس كما فعل مهيار الديلمي، على سبيل المثال. بل كان، على العكس من ذلك، يفخر بانتمائه لأصوله وأرومته العربية كلّمًا سنحت الفرصة واقتضت الضرورة.

٨- ومعروف لنا أيضاً لماذا اضطر شاعرنا العراقي هذا إلى مفارقة وطنه ومدينته بغداد بعد أن ضاق به «صحن العراق» أما: أولاً... إثر احتلاله من قبل البويهيين ومصادرة داره في بغداد من قبل أحد القادة العسكريين:

أرى صحنَ العراق يضيق عني

وإن ضلّتُ به الريحُ العقيمُ

ألينُ على مناسمه الأمانى

وتقذفني على الخطر الهموم<sup>(٢٠)</sup>

وليس غريباً، والحال هذه، ألا تكون له بغداد حينذاك «مرعى ولا حمى»، أو أن يكونَ له فيها

(٢٠) المصدر نفسه، الورقة ١٢.

إن عطسُ «مُشَمَّتٌ»، كما يقول:

ولما تراختْ عقدةُ الخوفِ فتُّها

وقد يُزلقُ الحبلُ القِطاةَ فتفلتُ

ولم تكُ لي بغداد مرعى ولا حمى

ولم يكُ فيها لو عطستُ مشمَّتُ

قطعتُ أديمَ الأرضِ درعاً وهمّة

كما قطعتُ عُرضَ السماءِ المجرَّة<sup>(٢١)</sup>

أو يقول في قصيدة كتبها في أصفهان، واصفاً

حاله في الغربة بعيداً عن وطنه:

أعدلاً أن أُنابَ بأرضِ جيِّ

وأعلقُ بالجبالِ الشاهقاتِ

وتضمن لي جبالَ الريِّ رِيًّا

وأعطشُ بين دجلةَ والفراتِ<sup>(٢٢)</sup>

بقى أن نقول في ختام هذه الملاحظات أن

اهتمامنا بهذا الشاعر وكتابتنا دراستنا الجامعيّة

الأولى عنه، كما قلنا، إنما كانا لأهميته شاعراً مبدعاً

مختلفاً عن غيره، قبل أي شيء آخر، بصرف النظر

عن جنسيته وانتمائه السياسي أو الشخصي. وما

رأيناه من تحييز لدى زملائنا الباحثين الإيرانيين

الثلاثة هو الذي دفعنا إلى تسجيل هذه الملاحظات

التي نرجو أن تُسهم في تصحيح الخطأ وتعديل

الميل حتى لو جاءت متأخرة.

وابنُ بابك هذا الذي يقول في إحدى قصائده:

أنا في جَدولِ المَجَرَّةِ نجمٌ

وعلى شَعرةِ الصِّراطِ طريقيُّ<sup>(٢٣)</sup>

ويخاطبُ أحد ممدوحيه بهذا الأبيات:

لا تنكروا عُريي على بابكم

فالبدرُ عُريان لمن ينظرُ

والياسُ تأديبٌ لمن لم يجدُ

من نفسه لنفسه مزجراً

وليس لي عيبٌ سوى أنني

أدهى من الشُّعرِ ولا أشعرُ<sup>(٢٤)</sup>

أو يصفُ حاله في قصيدة المديح وطلب العطاء في

مقطوعة أخرى:

مدُّ كفي إلى الرضا

مدُّ كفِّ إلى سَرَقِ

وأنا الحوتُ راحةً

لو تمتعتُ بالغرقِ<sup>(٢٥)</sup>

أو يقول في وصف الخمر وحالته حين يحتسيها

تحت سماء إيرانية ممطرة، كما كان يفعل كثيرون

في زمنه:

وشى برياً إليّا ورداً ألمٌ فحيّاً

ونبّهتني شمولٌ تموتُ في وأحيّاً

يا صخرة الرعدِ رُشي دم الغمامِ عليّا

فحبذا الروحُ ورداً ومُنحنى الروحِ فيّا

هذي سماءٌ مُدامٍ لم تجرِ فيها الحميّا

فكلُّ كرمٍ سماءٌ وكلُّ نجمٍ ثريّاً<sup>(٢٦)</sup>

ويقول في قصيدة أخرى:

(٢٤) المصدر نفسه، ١١٨.

(٢٥) المصدر نفسه، ١١١.

(٢٦) الراغب الاصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات

الشعراء ٧٠٦/٢.

(٢١) المصدر نفسه، الورقة ١٠٠.

(٢٢) المصدر نفسه، الورقة ١٠٧.

(٢٣) المصدر نفسه، الورقة ٥٢.

وما ترى قولك في شاعرٍ

يبيعُ بالمعدومِ موجوداً

ياؤوي إذا الفجر وشى بالدجى

ظلاً من النشوة ممدوداً

ويقول في هذه الأبيات التي نظن أن الطغرائي قد نظر إليها وأخذ منها في قصيدته المعروفة بلامية العجم المكتوبة بعد قصيدة ابن بابك هذه بأكثر من مئة عام (قال الحسين بن علي بن محمد المعروف الطغرائي عام ٥٥٠هـ):

ما لي أرَّجِحُ بين اليأس والأمل

ظناً إذا صحَّ لم يسلم من العليل

النفْسُ نفسي إذا العزُّ استقلَّ بها

فإن رأيت مكان الذلِّ لم تكُ لي

أبى الدناءة بل يأبى الدناءة لي

أنفُ أشمَّ وعرض غير مبتذل

بيني وبين زمامي إن ظفرت به

عتبٌ يقدُّ قميص الدارع البطل<sup>(٢٧)</sup>

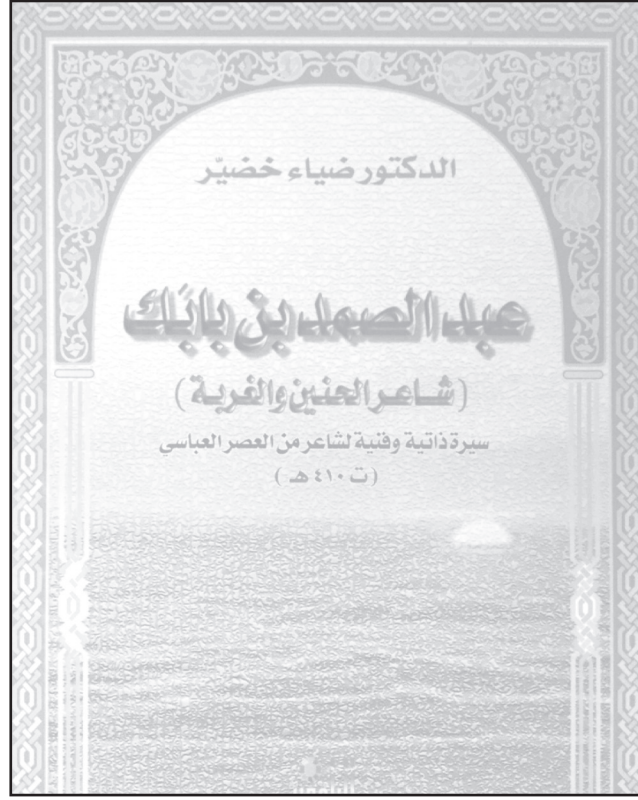
نعم، ينبغي أن نقول إن ابن بابك الشاعر، وليس العراقي أو الإيراني هو الذي يعيننا قبل أي شيء آخر. وأهميته لا تكمن فقط في هذه النماذج التي يصعب أن نقرأ لها مثيلاً في زمنه وعصره، بل في أهمية مجمل الشعر الموجود في ديوانه الكبير جداً، ونوعية قسم كبير من هذا الشعر، الذي يكشف لنا عن جانب آخر غير معروف من تراثنا الشعري جدير بالدرس والعناية وتوجيه

(٢٧) مخطوطة الديوان، الورقة ٤٣٤.

الانتباه. فقراءة هذا الديوان توفر لنا مصدرًا جديدًا للتعرف على روح عصر كامل منعكسة في ذات شاعر حسّاس موهوب. والقيم الفنية والموضوعية التي تشتمل عليها أجزاء كبيرة منه قيمٌ ثمينة هي الأخرى. وأشعاره الكثيرة في الخمر، مثلاً، تقدم للدارس مادة للتعرف على تطور الخمريات في الشعر العربي على نحو لا أظن أننا نجد ما يضارعه لدى شاعر آخر غير أبي نواس.

وموضوعاته في اليأس والغربة تمثل نمطاً شعرياً يصعب أن نعثر على ما يشابهه عند شاعر عباسي آخر قبل أبي العلاء المعري، على الرغم من أن قصائد ابن بابك في هذا الغرض تبدو أدخل في الشعر من قصائد أبي العلاء، كما بيّنا في دراستنا لها. وطريقته في استعمال الاستعارة وتركيب الصورة تؤهله لأن يكون وريثاً لأبي تمام ومدرسته في البديع. كما أن قراءة ديوانه تثير قضية بالغة الأهمية؛ وهي أن هناك أساساً نفسياً خصباً يتخلل أبيات قصيدته ويوجه حركتها ويحدّد ملامح أغلب صورها.

وعدم عناية القدماء بهذه الناحية ربما كان مسؤولاً عن جانب من الحيف الذي لحق به، وبغيره من شعراء عرب آخرين يستحقون المعالجة والنظر من هذه الناحية مثل أبي نواس وابن الرومي. وقد يكون من الصعب هنا إثبات كل هذه المزاعم دون قراءة شعر ابن بابك ومراجعة



والدافع إلى ذلك ليس الشهوة إلى الكلام، بل الجوع الذي يفرض على صاحبه أن ثمة شيئاً ما خاوياً داخله، ولا بدّ من أن يملأه حتى إذا لم يجد شيئاً في الصحراء التي يسير فيها. والسبيل الوحيد أمامه، إذ ذاك، هو أن يتغذى على نفسه باستمرار.

وتلك هي صورة التجربة وخلصتها لدى هذا الشاعر إذا أمكن تخليصها من الشوائب: استعادة متكررة لذات يجد صاحبها دائماً أن هناك شيئاً لم يُمسّ فيها، ولا بدّ من البدء من جديد.

الدراسة الواسعة التي وضعناها عنه في رسالتنا المشار إليها، والكتاب المطبوع الذي صدر بعد ذلك عن دار الياقوت بعمّان عام (٢٠٠١).

وغزارة إنتاج ابن بابك الشعري الذي فرضت جانباً منه ضرورات المهنة دون شك قد جعلته يكرر نفسه في قسم من قصائده. ولكنه يغري المرء بمتابعته على الرغم من ذلك. إذ أننا نشعر أن ثمة شيئاً من الصدق يتفرق تحت الإهاب الموحد لعبارته. فالشاعر يكرر نفسه ويجتثها مثلما يجتث البعير الطعام المخزون في معدته،